JRISS: Journal Review of Islamic and Social Studies
Vol., 1 No. 2 (2025), 44-56
e-ISSN: 3110-2611
Journal homepage: https://athallahpublishing.com/index.php/jriss/index

Research Paper

التصوف بين العزلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : إحياء علوم الدين أنموذجا

Wiwin Nur Jannah

Universitas Islam Internasional Indonesia
Email Corresponding author: wiwinnurjannah68@gmail.com

ARTICLE INFO

الكلمات المفتاحية : التصوف, و العزلة, والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, إحياء علوم الدين.

ABSTRAK

يتناول هذا البحث مفهوم التصوف باعتباره توازنا بين العزلة الروحية و ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في إطار السعي إلى إحياء العلوم الدينية وتجديدها. فالعزلة في التصوف لا تعني مجرد الانسحاب من المجتمع، بل تعد وسيلة للتقرب إلى الله وتطهير النفس من المؤثرات السيئة. وعلى العكس من ذلك، يؤكد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضرورة المشاركة الفعّالية في الحياة الاجتماعية للحفاظ على القيم الدينية والأخلاقية الشرعية. ومن هنا، التصوف يسعى من خلال هذين الجانبين إلى تحقيق كمال الإنسان روحيا واجتماعيا. ويستخدم هذا البحث على المنهج النوعي مستندة إلى كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي وإلى المراجع المعاصرة ذات الصلة بهذا البحث. و يركز التحليل على دراسة العلاقة بين العزلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في السياق الإسلامي المعاصر. كما يسعى البحث إلى تحديد أبرز الإشكاليات البحثية في تطبيق هذه المفاهيم، بهدف تجنب التطرف في أحدهما أو المبالغة الاجتماعية. وتظهر نتائج البحث أن التصوف يؤكد على أهمية التوازن بين العزلة الروحية والواجبات الاجتماعية، باعتبارهما طريقا نحو صفاء القلب وتحقيق مصلحة الأمة. فالعزلة توفر فرصة للتركيز الداخلي وتعزيز النمو الروحي العميق في حين يمثّل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أداة للانخراط في إصلاح المجتمع وتعزيز القيم.و يمثّل إحياء علوم

الدين أنموذجا متوازنا يجمع بينهما أي بين الإيمان والعمل، موحّدا بين الباطن الروحي والسلوك الظاهر.

Copyright © 2025 Authors
This is an open access article under CC-BY 4.0 license

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد...

التصوف هو فرع من المعرفة في التراث الإسلامي التقليدي الذي يؤكد على الجانب الروحي وتزكية النفس. ولقد نشأ كطريق روحي للتقرب من الله، لكنه تستخدم أيضا للتفكر في حال المجتمع. ومن الناحية العملية، أدى التصوف إلى اتجاهين رئيسيين: الأول أكد على العزلة من أجل الحفاظ على صفاء القلب والنفس. والثاني مخالط الناس أي إجتماعي تحويلي يؤكد على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتباره تعبير عن المسؤولية الصوفية تجاه المجتمع(al-Ṭāf, 2017).

وقد أدى هذا الخلاف بين هاتين المحورين إلى إثارة حوار تقليدي في خزانة الفكر الإسلامي. ومن جهة أخرى، تعدّ العزلة من الوسائل التي تعين على سلامة النفس من فتن الدنيا، وحفظ الإخلاص، والابتعاد عن الرياء والسمعة. فبينما يعتقد كثير من الناس أن الصلاح الحقيقي لا يقتصر على الجانب الفردي فحسب، بل يشمل الجانب الاجتماعي أيضا، ويتجلى في الشجاعة على الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. في هذا السياق، تبرز أهمية الحاجة إلى فهم طريقة التوافق بين الاثنين بدون الإخلال بأحد الطرفين.

وقد اهتم الإمام أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ) وهو من كبار مجتهدي القرن الخامس الهجري، بهذه القضية اهتماما بالغا. ومن خلال كتابه الضخم "إحياء علوم الدين"، جمع الإمام الغزالي بين الشريعة والتصوف والأخلاق الاجتماعية والفلسفة في منظومة فكرية موحدة. ويتحدث الغزالي عن العزلة كجزء من تزكية النفس, ولكنه في نفس الوقت أكد على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتبارها من الواجبات الاجتماعية على المسلمين. ويتميز منهج الغزالي بالتوازن بين العزلة و المسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(al-Ghazālī, 1431).

وبناء على الخلفية السابقة تقصد هذا البحث حول مسألة ما هو مفهوم العزلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين؟ و كيف توليف الإمام الغزالي بين العزلة في التصوف ومطلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحياة الاجتماعية؟ ولذلك، يهدف هذا البحث إلى معرفة مفهوم العزلة والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر عند الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين و تحليل كيف توليف الإمام الغزالي بين العزلة في التصوف ومطلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحياة الاجتماعية. ويستخدم هذا البحث بمنهج النوعي الوصفي التحليلي والطريقة المكتبية بوسائل قراءة الكتب الكلاسيكية و المصادر الأصلية يعني كتاب " إحياء علوم الدين" والمقالات المتعلقة بهذا البحث.

الدراسة السابقة, ومن خلال معظم الدراسات السابقة هناك العديد من الدراسات بعنوان قريب مما سيتم بحثه منها لمحمد الطاف والدكتور أبو بكر في مجلة القسم العربي بجامعة بنجان, لاهور باكستان 2017, تحت العنوان "دور التصوف في الأمن والسلام الاجتماعي", في بحثه يناقش بأن التصوف الحقيقي يصلح بين الناس بدون تمييز المذهب والعرق ولا يفسد، ويوحد ولا يفرق، ويوجه الناس إلى الإخلاص لله تعالى في كل أعمالها, ويمتاز هذا البحث عن المجلة السابقة بتخصيصه في دراسة " التصوف بين العزلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: دراسة في كتاب إحياء علوم الدين أنموذجا". ولـ.د. طه عبد الله محمد السبعاوي في مجلة كلية العلوم الإسلامية تحت العنوان " نظام الحسبة والتعزيرات المشروعة في الفكر الإسلامي", في بحثه تناقش نظام الحسبة كتطبيق لنظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع الإسلامي, وتؤكد الدراسة على أهمية الرقابة الاجتماعية ومخاطر التهاون تجاه المنكرات,وتوفر هذه الدراسة نقطة مقابلة مهمة لنهج التصوف الذي يميل إلى التأكيد على التزكية والتنمية الروحية الفردية, ويمتاز هذا البحث عن المجلة السابقة بتخصيصه في دراسة " التصوف بين العزلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: دراسة في كتاب إحياء علوم الدين أنموذجا".ولجينوري من جامعة نهضة العلماء سوركرتا الإندونيسي في النوى: مجلة الدراسات الإسلامية تحت العنوان " مفهوم العزلة في وسط المجتمع الحديث (دراسة لكتاب كفاية الأتقياء للسيد بكر المكي)" في بحثه تناقش عن العزلة بوصفها ضرورة روحية في خضم الفتنة والانحلال الأخلاقي، وتبرز الأشكال المعاصرة لممارسة العزلة مثل السلوك والتأمل, وعلى الرغم من أن هذه الدراسة ذات صلة بالموضوع، إلا أنها لا تتناول بشكل موضوعي العلاقة بين العزلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, ويمتاز هذا البحث عن المجلة السابقة بتخصيصه في دراسة " التصوف بين العزلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: دراسة في كتاب إحياء علوم الدين أنموذجا" ولنور سيدة من جامعة الإسلامية الحكومية رادين إينتان لانبونع في الرسالة تحت العنوان " مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندالإمام الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين وصلته بالتوجيه والإرشاد الإسلامي" في بحثه يناقش عن صلة مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إحياء علوم الدين بممارسة التوجيه والإرشاد الإسلامي. ويؤكد البحث على أهمية الأخلاق والمعرفة والأخلاق كمتطلبات للمرشدين والمرشدات، بما يتماشى مع متطلبات المحتسب عند الغزالي, وهذا يدل على أن أفكار الغزالي لا تزال ذات صلة في سياق التنمية الأخلاقية والروحية للمجتمع, ويمتاز هذا البحث عن المجلة السابقة بتخصيصه في دراسة " التصوف بين العزلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: دراسة في كتاب إحياء علوم الدين أنموذجا".ولبوديانتو من جامعة الإسلامية الحكومية سونان أمفيل سورابايا في الرسالة تحت العنوان " سياق وملاءمة

العزلة في عصر العولمة من وجهة نظر العلماء " في بحثه يناقش عن ممارسة العزلة كحل للحفاظ على الإيمان في عصر حديث مليء بالفجور، من خلال مقاربة موضوعية للآيات وآراء العلماء الكلاسيكيين إلى العلماء المعاصرين, وتصبح أهمية التزكية كشكل من أشكال الحماية الروحية من فساد العصر هي المحور الرئيسي، على غرار أفكار الغزالي في إحياء علوم الدين, ويمتاز هذا البحث عن المجلة السابقة بتخصيصه في دراسة " التصوف بين العزلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: دراسة في كتاب إحياء علوم الدين أنموذجا"ل.أ.عبد الفتاح سعد محمود منصور من جامعة دمنهور في باحث ماجستير تحت العنوان " المحتسب ودوره في الرقابة على الأسواق" في بحثه عن الحسبة فريضة اجتماعية في الإسلام ظلت قائمة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حتى أصبحت مؤسسة رسمية من مؤسسات الدولة. ويشترط في المحتسب أن يكون عادلا وعالما ومشرفا على الآداب العامة, ويمتاز هذا البحث عن المجلة السابقة بتخصيصه في دراسة " التصوف بين العزلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: دراسة في كتاب إحياء علوم الدين أنموذجا".

وقد سبق في بعض الدراسات السابقة أن هناك من بحث في مسألة العزلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن البحث في ذلك منفصل ولم يجعله الوحدة كموضوع البحث، ولذلك من المهم جدا، أن يبحث في كيفية الارتباط بينهما والموازنة بينهما كما قال الإمام الغزالي.

مفهوم العزلة عند الغزالي

إن العزلة هي أحد مصطلحات الصوفية الأساسية، وقد أوضح عبد المنعم الحفني في كتابه "معجم مصطلحات الصوفية" أن المريد في بداية سيره الروحي يحتاج إلى العزلة. ولا يقصد بها اعتزاله عن الخلق لسلامة الناس من شره أو سلامته من شرهم، وإنما هي في الحقيقة اعتزال الخصال عن الصفات المذمومة في النفس. فالمقصود من العزلة هي إصلاح النفس لا ترك المكان. وقد قال الجنيد: "من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه، فليعتزل الناس، فإن هذا زمان وحشة، والعاقل من اختار فيه الموحدة مع الله"(al-Nadwah al-ʿĀlamiyyah li al-Shabāb al-Islāmī, د.ت).

وهي أيضا إحدى الممارسات الروحية في تقاليد الصوفية، والتي تعني الانعزال عن صخب الدنيا من أجل التقرب إلى الله. ومن الناحية الاشتقاقية، تأتي الكلمة في اللغة العربية من كلمة عزل – يعزل – عزلا والتي تعني الانفصال أو الإبعاد (warson munawwir, 1997). ومن الناحية العملية، تهدف العزلة إلى حماية القلب من التأثيرات السلبية للعالم الخارجي وتركيز الروح على صلة أعمق بالخالق (Budiyanto, 2022). طالما كان مفهوم ''العزلة'' أو الانعزال عن الحياة الاجتماعية لصالح التقرب الروحي إلى الله جزءا مهما من الروحانية الإسلامية. يختلف العلماء والصوفية حول فضائله. فقد أكد معظم علماء الزهد القدامى مثل سفيان الثوري والفضيل بن عياض على أهمية العزلة باعتبارها وقاية من محن الدنيا. ومن وجهة نظرهم، فإن العزلة هي وسيلة للحفاظ على نقاء القلب والطمأنينة الداخلية(al-Ghazālī, 1431).

بالإضافة إلى ذلك، فإن شخصيات مثل الإمام الشافعي وابن المبارك وأحمد بن حنبل كانوا يرون أن الاختلاط بالمجتمع هو الأفضل، لأنه يوفر فرصا للنصيحة المتبادلة ونشر المعرفة والوفاء بالواجبات الاجتماعية(al-Ghazālī, 14319). وحتى في التقليد الصوفي، تؤكد شخصيات مثل ابن عطاء الله السكندري على أن العزلة ليست الهدف من الحياة، بل هي مرحلة مؤقتة لإعادة توجيه النفس قبل العودة إلى الحياة الاجتماعية(Dinataوآخرون, 2022). وفي السياق الحديث، حذر بويا حمكة من أن العزلة يجب ألا يفهم خطأ على أنها الرهبانية (الزهد) في التقليد المسيحي. ووفقا له، فإن الإسلام لا يعلمنا الاعتزال المطلق، لأن المسلم يجب أن يظل نشطا في المجتمع ويعمل مع العبادة (Budiyanto, 2022).

وبين هذه الآراء المتنوعة جاء الإمام الغزالي بمنهج متوازن وعميق في كتابه ''إحياء علوم الدين''. ويبدأ بملاحظة الاختلافات بين العلماء حول مزايا العزلة والمخالطة. ومع ذلك، يؤكد الغزالي أنه لا يوجد طريقة واحدة أفضلية مطلقة في التفضيل بينهما، فالأمر كله يعتمد على حالة الأفراد وحالة عصرهم (al-Ghazālī, 1431). وحسب الغزالي فإن العزلة هي اختيار روحي ينبغي أن يكون بوعي ومعرفة واستعداد عقلي. ويذكر الغزالي أن العزلة تصبح أولوية عندما تؤدي الاختلاط بالمجتمع إلى المعاصي والغفلة وإفساد القلب. أما إذا كان الإنسان يملك قوة روحية وقادر على نفع المجتمع فإن المخالطة تصبح أهم حينذاك (al-Ghazālī, 1431).

في بنية التصوف عنده، يوضع العزلة كجزء من عملية تزكية النفس، وخاصة في مرحلة التخلية – أي تفريغ النفس من الصفات الذميمة كالرياء والحسد وحب الدنيا. والأذكار تسهل على المرء الدخول في الطمأنينة الباطنية، وتعميق التركيز على العبادة، والإقبال على الله تعالى بكليته. كتب الغزالي''العزلة هي المكان الذي يتعرف فيه العبد على نفسه وعلى ربه، بعيدا عن ثناء البشر وتأثيرهم''. ومع ذلك، فقد حذّر الغزالي أيضا تحذيرا شديد الخطورة من مغالطة اختيار العزلة. فهو ينتقد الأشخاص الذين يذهبون إلى العزلة لأنهم كسالى أو خائفون من مواجهة الواقع، أو يريدون أن يعتبروا مقدسين. في مثل هذه الحالات، يمكن أن تكون العزلة مصدرا للعجب والغرور الروحي. ولذلك، فإن العزلة الحقيقية لا تولد إلا من النوايا الصادقة وتستند إلى النضج العقلي السليم(al-Ghazālī, 1431). وقد كان الغزالي في رده على حجج الفريقين ناقدا. فالآيات التي تدعو إلى الاجتماع مثل قوله تعالى: "وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ...الخ". لا تنهى عن العزلة صراحة ؛ لأن سياق الآية هو التفرق في العقيدة، وليس العزلة من أجل الحفاظ على الإيمان. بل على العكس من ذلك، فإن قصة النبي إبراهيم وأصحابه تدل على أن العزلة يمكن أن تكون وسيلة لحفظ على الإيمان عندما تكون البيئة الاجتماعية غير ملائمة للإيمان). وبهذا يتوافق فكر الغزالي في هذا الشأن إلى حد كبير مع منهج الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي قسم العزلة إلى قسمين: عزلة ظاهرية (أي الابتعاد عن المعاصي والذنوب الجسدية والازدحام) وعزلة باطنية (أي كسر تعلق القلب بالدنيا). ويبدو أن الغزالي يدمج بين النوعين : عزلة ظاهرية عند الحاجة، وعزلة باطنية كضرورة روحية لكل مؤمن (Budiyanto, 2022).

بالإضافة إلى ذلك، كان أمين شكور يفسر اعتكاف النبي محمد في غار حراء على أنه شكل من أشكال العزلة المتأصلة في الحساسية للواقع الاجتماعي. ليست العزلة شكل من أشكال الهروب، بل هي لحظة تأمل تولد الوعي والتغيير. وهذا يتماشى مع وجهة نظر الغزالي التي ترى أن العزلة يجب أن تؤدي إلى صفاء باطني واستعداد للعودة إلى المجتمع (Budiyanto, 2022). في عالم معاصر يزداد صخبا ومليء بالملهيات والمشتتات، يقسم أمير الدين شاه العزلة إلى ثلاثة أشكال: العزلة التقليدية (العزلة التامة)، والعزلة المؤقتة (كما عاشها الأنبياء والصحابة)، والعزلة الداخلية (التي تمارس في المجتمع). وموقف الغزالي من هذه الثلاثة هو الأقرب إلى الشكل الثاني والثالث، أي العزلة التي تكون مدروسة وواعية وموجهة لتقوية العلاقة مع الله تعالى، وليس للانسحاب الدائم من واقع الحياة (Budiyanto, 2022).

مفهوم الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الغزالي

إن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو تعليم أساسي في الإسلام له جذور قوية في اللغة واللاهوت والممارسة الاجتماعية. وهو مشتق من اللغة العربية: الأمر يعني الطلب أو ضد النهي، والنهي يعني المنع. (Dinataوآخرون, 2022) . أما في الاصطلاح، فالأمر هو طلب فعل الشيء من الأعلى إلى الأدنى، بينما النهي هو طلب الكف عن الفعل، وهو في الأصل يدل على الحرمة، كما يقول جمهور العلماء. وذلك لأن كل نهي في الإسلام يختص في الغالب بالأفعال التي يترتب عليها ضرر، كالربا والزنا وإتلاف البيئة. (Dinataوآخرون, 2022).

وتشمل كلمة معروف جوانب الخير العامة التي يدركها العقل والشرع كالصدق والعدل والرحمة والشجاعة والصبر والإخاء. وعلى العكس من ذلك، فإن المنكر هو كل ما ينكره الطبع البشري والشرع من المنكرات التي ترفضها الفطرة الإنسانية والشريعة. ولذلك فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني أن يأمر الإنسان الآخرين بفعل الخير، وينهاهم عن فعل الشر أو الإنحراف الأخلاقي (NURSIDA, 2022). ويسمي علماء الفقه هذا المبدأ بـ ''الحسبة''. أما من الناحية اللغوية، فإن هذا التعبير مأخوذ من جذر كلمة ''احتسبه'' التي تعني ''رد المنكر أو إنكاره''، وتعني أيضا ''توقع الثواب''، كما في قول النبي ﷺ : "من صام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه" (al-Sabʿāwī, 2013).

والإمام الغزالي في إحياء علوم الدين يجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسس الحياة الدينية والاجتماعية. فهو يسمي الحسبة فرض كفاية يجب على كل الأمة الحفاظ عليه. كما قال : "هي عبارة عن منكر من منكر بحفظ الله للمنكر". بالنسبة له، الحسبة هي صورة واقعية لمسؤولية المسلم الاجتماعية والروحية (al-Sabʿāwī 2013). أما أساسها الشرعي فمأخوذ من قول الله تعالى في سورة آل عمران : "وَلْتَكُنْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" وأورد الغزالي أيضا حديث النبي صلى الله عليه

وسلم في مراتب الحسبة الثلاث: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ "» (Aḥmad ibn Ḥanbal, 2001).

وبحسب ما ذكره الغزالي، فإن تنفيذ الحسبة يتطلب ثلاثة شروط رئيسية هي : العلم ليكون قادرا على التمييز بين المعروف والمنكر, والإخلاص حتى لا تتدخل فيه الشهوة أو المصالح الشخصية, والاستطاعة، بحيث لا يترتب على فعل الحسبة ضرر أكبر من ضرر المنكر نفسه (al-Ghazālī, 1431). وخلافا لرأي من يقصر الحسبة على سلطة الدولة، يؤكد الغزالي أن هذا الأمر من واجبات الأمة الجماعية، بما في ذلك من بلغوا درجة التمييز. وحتى لو لم يكن المجتمع متقبلا للنصيحة، فيمكن للمرء أن يفرض النهي عن المنكر بصيغ سلبية مثل النهي عن المنكر أو الابتعاد عن البيئات الفاسدة (al-Ghazālī, 1431).

والمحتسب هو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويشترط فيه عدة شروط، منها: المحتسب أن يكون مسلما و مكلفا (عاقلا بالغا) سواء كان مكلفا بدنيا أو لفظيا, لكن لا يشترط فيه أن يكون ذكرا أو حرا أو صالحا (غير فاسق). بل يصح من الفاسق فعل المنهي للمنكر، لا سيما فيما يتعلق بالتصرفات ككسر زجاجات الخمر، ما دام صحيحا من الناحية الشرعية. أما الوعظ اللفظي فيجوز تركه إذا علم أنه لا أثر له. ويجوز للصبي المميز أن يفعل المنكر ويثاب على ذلك، وأما الكافر فلا يجوز له ذلك لما فيه من إخضاع المسلمين. وعلى هذا فإن وجوب الحسبة لا يختص بالعلماء أو المسؤولين بل هو متاح لكل من توفرت فيه هذه الشروط (al-Ghazālī, 1431).ويؤكد الغزالي أيضا على العلاقة بين التصوف والحسبة، فعلاقتهما عنده: أن الصوفي الحقيقي لا ينبغي أن ينشغل بالعزلة فقط، بل ينبغي أن يشارك في الحفاظ على النقاء الاجتماعي. أما إذا كانت العزلة في الحقيقة هي التي تتسبب في الضرر فإن العزلة هي الطريقة الروحية للحفاظ على المبدأ في العزلة وقال : "إذا لم يقدر المرء على إصلاح غيره فليصلح نفسه، وإن ذلك من أعظم الجهاد (al-Ghazālī, 1431).

وفي المقارنة فإن ابن خلدون في المقدمة قد وضع الحسبة في إطار السلطة والحكم السياسي, كما قال أن الحسبة هي "وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين. " (al-Sabʿāwī, 2013). ويرى ابن خلدون أن الحسبة وظيفة دينية من واجبات الدولة، وخاصة الحاكم، وهي من واجبات الحسبة. وهذا يدل على مقاربة بنيوية ومؤسسية مقارنة بالغزالي الذي أكد على الجوانب الفردية والروحية (al-Sabʿāwī, 2013).

وكذلك رأى ابن المبارك أن الحسبة شكل من الإشراف الإداري من قبل الدولة, كما قال أن الحسبة هي الحسبة رقابة إدارية تقوم بها الدولة عن موظفين خاصين على نشاط الأفراد في مجال الأخلاق والدين والاقتصاد,أي أن الحسبة هي نظام رقابة تمارسه أجهزة الدولة بشكل رسمي في المجالات الأخلاقية والدينية والاقتصادية.[1] وبهذا على

[1] محمد السبعاوي.

الرغم إن اختلفوا العلماء في تأكيد هذا المنهج، إلا أنهم جميعا رأوا أن الحسبة أداة مهمة في الحفاظ على سلامة المجتمع المسلم، وخاصة الإمام الغزالي.

نماذج ومعايير الحسبة في ضوء إحياء علوم الدين

لا يقتصر الإمام الغزالي في ''إحياء علوم الدين'' على تقديم مفهوم الحسبة كفريضة دينية فحسب، بل يجمعها باعتبارها مسارا روحيا يحمل أبعادا أخلاقية ومراقبة للنفس. وهذا المفهوم له خصوصيته لأنه يصف ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليس فقط بوصفه تقويما اجتماعيا، بل أيضا بوصفه وسيلة لتزكية النفس (al-Ghazālī, 1431) .ومن الأسس الرئيسية في تنفيذ الحسبة عند الغزالي هي نفس الحسبة – أي نفس فاعل الحسبة وأخلاقه ومقاصده – وهي آداب المحتسب والأخلاق والنية, وجزم بذالك : "«وَأَمَّا حُسْنُ الْخُلُقِ فَلْيَتَمَكَّنْ بِهِ مِنَ اللُّطْفِ وَالرِّفْقِ وَهُوَ أَصْلُ الباب وأسبابه وَالْعِلْمُ وَالْوَرَعُ لَا يَكْفِيَانِ فِيهِ»(al-Ghazālī, 1431).

.

وهكذا فإن الحسبة ليست ميدانا لتنفيس العواطف، بل هي ميدان لإختبار الأخلاق والإخلاص. ومن لا يستطيع أن يسيطر على غضبه أو شهوة الرياء أو الغرور في الحسبة فإنه يخاطر بأن يجعل من أمر المعروف نفسه نوعا جديدا من المنكر (al-Ghazālī, 1431). كما أكد الغزالي على أن الطريقة والترتيب مهمان جدا في تنفيذ الحسبة. وقد ذكر ثلاث مراحل رئيسية في إجراء الحسبة في أدب الحسبة, هي : التعريف (الإعلام): وهو بيان خطأ الفعل إذا لم يعلم المحتسب,و الوعظ (تنبيه): النصح بمهارة لتركه, والتغليظ/التحذير الصارم: إذا عصى مرتكب الفعل، ويتم ذلك بطريقة حازمة ولكن بطريقة أخلاقية (al-Ghazālī, 1431). وهذه المراحل الثلاثة لا بد أن تكون مبنية على صفات الرفق، والحلم والفقه وفهم الشريعة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهي عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهي عنه" (al-Zabīdī, 1987).

وفصّل الغزالي في '' إحياء علوم الدين '' عشر مراتب في الحسبة، وهي إرشادات مهمة في الحفاظ على التناسب: الأول : إظهار الكراهية بالقلب, والثاني : الانصراف والاعتزال أي الابتعاد عن مرتكب أو مكان المنكر, والثالث : الإنكار بالإشارة أي أشار إلى استيائه بتعبير وجهي, والرابع : النهي بالكلام اللين, والخامس : الزجر والتقريع والتوبيخ صراحة, والسادس : التهديد بالوعيد أي خطر العواقب الدنيوية أو الأخروية, والسابع : إزالة المنكر باليد أي التوقف مباشرة مثل إزالة وسائل الفسق والفجور, والثامن : الضرب الخفيف أي العقاب الجسدي الخفيف غير المؤلم, والتاسع : المنع القسري أي تقييد الجاني أو منعه بالقوة, والعاشر : استخدام السلطة الشرعية أي تتضمن سلطة ما (مثل القاضي أو الحكومة). أي وله درجات وآداب أما الدرجات فأولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم إيقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود (al-Ghazālī, 1431). ولكن أن الغزالي أكد على

أن مستوى الفعل يجب أن يتناسب مع قدرة الفاعل ومقامه وعلمه, وقال " وما وراء المرتبة الخامسة لا يجوز إلا للسلطان أو نائبه" (al-Ghazālī, 1431).

لا يقتصر الغزالي على الجانب النظري فحسب، بل يقدم أيضا نماذج تطبيقية من مختلف الأماكن العامة منها : في المسجد: توبيخ من لا يطمئن في الصلاة، أو يقرأ القرآن لحنا سيئا، أو يؤذن على غير السنة, كما قال " فما يُشَاهَدُ كَثِيرًا فِي الْمَسَاجِدِ إِسَاءَةُ الصَّلَاةِ... فَيَجِب النهي عنه". وفي السوق: تصحيح البائعين الذين يغشون في الأسعار، أو يخفون العيوب في السلع، أو يغشون في الكيل والميزان, كماقال " فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة وأربح فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق". وفي الشارع: منع الباعة من سد الطريق، وإبعاد الكلاب الخطيرة عن الباب، ومنع وضع الأشياء التي يمكن أن تجعل الناس ينزلقون. في أماكن العبادة: إنكار تلاوة القرآن المبالغ فيها إلى حد تغيير المعنى، أو انتقاد الممارسات البدعية في مجالس الذكر التي لا تتفق مع الشريعة. وفي مجال الاجتماعي: منع أخطاء الدعاة كنشر البدعة والكذب أو الظهور بأسلوب مغري يفتح باب الفتنة في المجتمع (al-Ghazālī, 1431).

وفي كل هذه المواضع يؤكد الغزالي أن الحسبة الصحيحة هي التي تكون على وجه الإصلاح، وليس لمجرد إصلاح النفس, بل إنه يذكر أن المعتكف إذا كان المعتكف يفيد المجتمع أكثر بفعل الحسبة فالأفضل له ترك الاعتكاف, كما قال "فليشتغل به، فإن هذا أفضل له من ذكره وتطوعه"(al-Ghazālī, 1431). ويتناول الغزالي الحسبة باعتبارها شكل من أشكال التعبد الروحي، وليس مجرد أمر اجتماعي ويختتم هذه المناقشة بالتحذير يعني لا تكون الحسبة بالرياء، طلبا للجاه أو الشهرة، ولا أن يجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كرها وذلة، ولا أن يعمل الحسبة على شيء من فعل نفسه, كما قال " إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر، وليثق بالثواب من الله "(al-Ghazālī, 1431).

وبهذا فإن روح الحسبة عند الغزالي، هي وحدة العلم والأخلاق والروحانية والصبر والشجاعة التي لا يمكن فصلها عن المثل الأعلى للتصوف نفسه، وهو عبارة عن وحدة الإحسان في العرفان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

اختلاف المواقف حول العزلة والحسبة

في أدبيات التصوف، لطالما كان النقاش حول فضل العزلة والحسبة قد صبغ الخطاب الإسلامي. والمقصود بالعزلة هو الاعتزال من أجل السلامة الدينية، أما الحسبة فهي المشاركة الاجتماعية من أجل المحافظة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يعتبر علماء الصوفية مثل ابن عطاء الله أنّ العزلة ضرورية لصفاء القلب وإقباله على الله تعالى بكليته بعيدا عن ملهيات الدنيا (Khayrī, I د.ت). ويميز عبد القادر الجيلاني بين عزلة الظاهر والباطن، التي يكمن أساسها في حفظ القلب. ويؤكد على أن الطهارة الباطنية شرط أساسي للتزكية. من هذا المنظور، فإن التزكية ليست شكلا من الهروب عن الواقع، بل هي خطة للحفاظ على الطهارة الروحية قبل العودة إلى توجيه الناس (al-Jīlānī, 1993).

وعلى العكس من ذلك، يشدد علماء معاصرون مثل سعيد رمضان البوطي وفضل الرحمن على الحاجة الملحّة للمشاركة الاجتماعية. فبالنسبة لهما، لا تبقى الروحانية الحقيقية بعيدة عن العالم، بل هي حاضرة في وسطه كعامل لتحسينه. وهنا يأتي دور الحسبة. ويقف الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين موقفا معتدلا، فيقول: ''إن العزلة مطلوبة ليخلص القلب من الرياء والشغل بالدنيا''. ولكنه يؤكد أيضا على أن المخالطة أفضل لمن كان قوي الإيمان حتى يتمكن من نفع المجتمع. وبالتالي، فإن الاختيار بين العزلة والحسبة ليس مطلقا، بل هو اختيار سياقي إلى حد كبير – حسب قوة الإيمان وأهداف الحياة والظروف الاجتماعية(al-Ghazālī, 1431).

في عصرنا الحديث الذي يتميز بتدفق المعلومات وأنماط الحياة الاستهلاكية فإن أكثر أشكال العزلة ذات الصلة هي العزلة الباطنية – حراسة القلب من الأمراض الروحية مع الاستمرار في الحياة الاجتماعية الفاعلة. وقد أكد ابن تيمية على الرفق واللين في النهي عن المنكر (Dinataوآخرون, 2022). ويقول وهبة الزحيلي، إن العزلة لا تشرع إلا إذا كان الدين مهددا، وإلا فالانخراط الاجتماعي المقترن بالوعي الروحي هو الأفضل. في هذا الإطار، فإن العزلة في الواقع تقوي وظيفة الحسبة, فالمرء قادر على النصح ليس بسبب العواطف، ولكن بسبب هدوء القلب وصفائه (Dinataوآخرون, 2022).

وبالتالي، فإن الاختلاف في وجهات النظر بين العزلة والحسبة ليس تعارضا لاهوتيا، بل هو استجابة لمتغيرات العصر والحالة الروحية للأفراد. فالتصوف لا يعلم الهروب من الواقع بل ضبط النفس (Dinataوآخرون, 2022). ويوضح الغزالي وابن عطاء الله والجيلاني والزحيلي أن المسار الروحي يمكن أن ينسجم مع الوظائف الاجتماعية. والواقع أن الروحانية القوية تلد نشاطا رقيقا ومليئا بالحكمة. فالعزلة والحسبة ليسا مساران ينافي بعضهما بعضا، بل هما محوران روحيان إذا ما اجتمعا معا بشكل متناسب، فإنهما يولدان الشخصية المسلمة الكاملة المتأملة، والبناءة.

معالجة الحسبة ونقد تزكية النفس في الواقع المعاصر

ويؤكد الغزالي في إحياء علوم الدين على أن الممارسة الصحيحة للحسبة لا يكفي فيها العلم الشرعي أو الشجاعة الظاهرة فحسب، بل تتطلب إخلاص النية ونظافة النفس، والأدب الروحي. وينتقد بشدة أولئك الذين يدعون إلى الخير بقلب مليء بالرياء والسمعة وحب الشهرة (ʿAbd Allāh al-Mahwās & ʿAbd al-Raḥmān ibn., 2024). كما قال "فكم من واعظٍ مبينٍ للهدى، قد أضلّه الهوى، وما أفسده إلا حبّ الجاه والرئاسة" (al-Ghazālī, 1431). وهذا النقد موجه أيضا إلى أولئك الذين ينشغلون بتزكية النفس ظاهريا، ويهملون أدوارهم الاجتماعية ومسؤولياتهم الجماعية. وقد أطلق الغزالي على هذا النوع من التزكية اسم ''التزكية التصوير الروحي''، وهو ما يبعد عن الهدف الحقيقي للتصوف, كما قال "الزاهدُ في مظاهر الدنيا قد يُبتلى بحبّ الجاه الخفي، ويظنّ أنه تَزَكّى، وما دخل التزكيةُ في قلبه"(al-Ghazālī, 1431).

وهذه النظرة مرتبطة جدا بالظروف المعاصرة، وخاصة ظاهرة الحسبة الرقمية، والدعوة عبر الإنترنت، والنشاط الأخلاقي الذي غالبا ما يكون محاصرا بالعنف الشكلي أو حتى الرمزي. وفي هذا السياق يصبح منهج نوازل الحسبة كما وضعه الدكتور عبد الرحمن المويس تكملة مهمة هو يقول أن اعتناء الناظر بعلم نوازل الحسبة، وتحصيل أصوله، والتدرب على مسائله، يسهم في تكوين ملكته الفقهية والعلمية، ويعطيه مهارة في معالجة مشكلات الحسبة والاهتداء فيها إلى مظان أحكامها الملاقية لواقعها (ʿAbd Allāh al-Mahwās & ʿAbd al-Raḥmān ibn., 2024). وهكذا، فإن مفهومي الحسبة و العزلة (التزكية) في منظور الغزالي يشجعان على الجمع بين التقوى الشخصية والمشاركة الاجتماعية، بين القوة الروحية والحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (al-Ghazālī, 1431).

التوازن بين العزلة و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الغزالي

العلاقة بين العزلة و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست تناقضا مطلقا، بل بينهما علاقة معقدة وترابطة. يوضح الإمام الغزالي أن العزلة لا تعني ترك المسؤوليات الدينية وواجباتها، بل قد تكون وسيلة لحماية هذه المسؤوليات والواجبات. وعندما يعيش الإنسان في مجتمع تكثر فيه بالمنكرات أو يشعر بأن إيمانه يتعرض للخطر، تصبح العزلة خيارا حكيما وأفضل للحفاظ على دينه وقيمه. فبذلك، يواصل أداء الواجب دون أن يشارك في المنكرات. فالعزلة ليست الابتعاد عن الناس، بل هي وسيلة للحفاظ على النفس والمبادئ في أوقات التحديات والصعوبات (al-Ghazālī, 1431).

يعتبر الإمام الغزالي أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو فرض الكفاية، وليس من الضروري أن يقوم به كل فرد باستمرار. فتنفيذ هذا الواجب يعتمد بحسب على قدرة الشخص وعلمه وظروفه. وإذا لم يستطع الإنسان أن يصد المنكر مباشرة، يكفي أن يكرهه في قلبه ويبتعد عن أماكن الفساد. هذا الموقف يعد أيضا نوعا من الأمر بالمعروف بنهج سلبي ومشروع. كما قال سهل بن عبد الله: إذا كان الإنسان لا يستطيع سوى أن ينكر الذنب في نفسه، فإنه يكون قد أتم واجبه بحسب استطاعته، دون الحاجة إلى الانخراط المستمر في بيئته المليئة بالمعاصي (al-Ghazālī, 1431).

لا يمكن تعميم الاختيار بين العزلة والمجتمع، لأن ذلك يعتمد على ظروف الشخص والزمان والمكان. فمن لم يتوفر له العلم الكافي، لا ينصح له بالانعزال، ومن كان إيمانه ضعيفا، من الأفضل له أن يبقى في وسط الناس ليحصل على الدعم والمساعدة عن الآخرين. النية هي المعيار الأساسي؛ فالعزلة التي تكون بسبب الغرور أو الهروب من المسؤولية هي أمر مذموم. في أوقات الفتن، قد تكون العزلة هي أفضل وسيلة لحفظ الدين، وأما في الأوقات الآمنة، فالمجالسة والمشاركة في المجتمع هي الأفضل لنشر الخير. وإذا كان الشخص له تأثير إيجابي، فإن المشاركة الاجتماعية تكون أكثر نفعا فضلا له، أما إذا كان وجوده سببا في الضرر، فالانعزال هو خيار حكيم ومصلح له (al-Ghazālī, 1431).

يقدم الإمام الغزالي, تصورا متوازنا بين العزلة والتواصل الاجتماعية أنهما أمر ضروري. فالعزلة ليست الهدف الأساسي، بل وسيلة لتزكية النفس والابتعاد عن الأخلاق السيئة. وفي بداية السلوك الروحي، يحتاج الإنسان إلى العزلة لتطهير قلبه وتقوية إيمانه وتزكية نفسه، لكن بعد أن يثبت على نضج الروحي، يجب عليه أن يعود للمجتمع ويؤدي دوره فيه. العزلة المقبولة هي التي تكون وفق الشريعة، لا هروبا من الواجب أو الواقع من المجتمع. وقد أكّد الغزالي أن إصلاح النفس لا يكتمل إلا مع السعي لإصلاح المجتمع، فهما أمران متلازمان. والمعيار الأهم في ذالك هو النية الصادقة أي الإخلاص, فمن عزل نفسه أو خالط الناس ابتغاء وجه الله، فله أجر وبركة في كلا الحالين (al-Ghazālī, 1431).

الخاتمة

خلاصة القول في نهاية هذا البحث أن التصوف، كما صوّره الإمام الغزالي في "إحياء علوم الدين"، لا يعني الانعزال عن المجتمع ولا الهروب من الواقع، بل هو سلوك متوازن يجمع بين تزكية النفس وخدمة الآخرين. فهو سعي لإصلاح النفس أولا، ثم المساهمة في إصلاح المجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة بعدها. فالصوفي الحقيقي هو لا يعتزل إلا إذا اقتضت الحاجة لحماية قلبه، ثم يعود لخدمة أمّته، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، مع مراعاة الحكمة والرفق، ووفقا لتعاليم الشريعة .وهكذا، فإن التصوف في حقيقته طريق لبناء الإنسان والمجتمع على أساس من الإيمان والوعي والرحمة معا.

العزلة في التصوف لها شروط خاصة، إذ يجب أن يمارسها شخص عارف بالدين وفاهم لمقاصده. أما من يقوم بأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فينبغي أن يكون عالما، تقيا، وحسن الخلق. ذلك حتى تسير الأمور بشكل متوازن وحكمة، بعيدا عن الظلم أو التجاوزات. ولهذا السبب، يرى الإمام الغزالي أن العلاقة بين العزلة و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأسس والضرورة المهمة يجب أن تطبق لما لها من تأثير كبير في عصرنا الحاضر.

المصادر والمراجع

Al-Sabʿāwī, Ṭāriq ʿAbd al-Ḥamīd. (2013). Niẓām al-Ḥisbah wa al-Taʿzīrāt al-Mashrūʿah fī al-Fikr al-Islāmī. *Majallat Kulliyyat al-ʿUlūm al-Islāmiyyah*, al-Sābiʿ(al-Thālith ʿAshar).

ʿAbd Allāh al-Mahwās, & ʿAbd al-Raḥmān ibn. (2024). *Mabādiʾ ʿIlm Nawāzil al-Ḥisbah: Dirāsah Taʾṣīliyyah* (15 م). Al-Majallah al-ʿIlmiyyah li Kulliyyat al-Dirāsāt al-Islāmiyyah wa al-ʿArabiyyah lil-Banīn bi Dimyāṭ al-Jadīdah, Jāmiʿat al-Imām Muḥammad ibn Suʿūd al-Islāmiyyah.

Aḥmad ibn Ḥanbal. (2001). *Musnad Aḥmad*. Muʾassasat al-Risālah.

Al-Ghazālī, M. (1431). *Iḥyāʾ ʿUlūm al-Dīn*. Dār al-Maʿrifah.

Al-Jīlānī, A. al-Qādir. (1993). *Sirr al-Asrār wa Maẓhar al-Anwār*. Dār al-Sanābil; Maktabat al-Jīlānī.

A-Sabʿāwī, Ṭāhā ʿAbd Allāh Muḥammad. (2013). *"Niẓām al-Ḥisbah wa al-Taʿzīrāt al-Mashrūʿah fī al-Fikr al-Islāmī."*. Majallat Kulliyyat al-ʿUlūm al-Islāmiyyah, al-Sābiʿ, al-ʿAdad al-Thālith ʿAshar.

Al-Ṭāf, M., & Abū Bakr. (2017). "Daur al-Taṣawwuf fī al-Amn wa al-Salām al-Ijtimāʿī.". *Majallat al-Qism al-ʿArabī*, 259.

Al-Zabīdī, M. (1987). *Takhrīj Aḥādīth Iḥyāʾ ʿUlūm al-Dīn. Al-Ṭabʿah al-Ūlā*. Dār al-ʿĀṣimah li al-Nashr.

Al-Nadwah al-ʿĀlamiyyah li al-Shabāb al-Islāmī. (د.ت). *Al-Mawsūʿah al-Muyassarah fī Tarājim Aʾimmat al-Tafsīr wa al-Naḥw wa al-Lughah* (Al-Ṭabʿah al-Ūlā, 18 م).

Budiyanto. (2022). "Kontekstualisasi dan Relevansi Uzlah di Era Globalisasi dalam Pandangan Ulama.". *As-Syifa: Journal of Islamic Studies and History*, *1*(2), 137–159.

Dinata, S., Latipah, E., & Izzah, I. (2022). Perbandingan Pemikiran Al-Ghazali dan Ibnu Taimiyah Tentang Amar Ma'ruf Nahi Munkar. *Al-Kawakib*, *3*(2), 66–84.

Khayrī, I. (د.ت). "'Uzlah perspektif Ibn ʿAṭāʾillāh al-Sakandarī.". *Jurnal Penelitian Ilmu Uṣūl al-Dīn*, *1*(3), 114–128.

Nursida. (2022). *Konsep Amar Ma'ruf Nahi Munkar Imam Al-Ghazali Dalam Kitab Ihya'ulumuddin Dan Relevansinya Dengan Bimbingan Dan Konseling Islam*. Universitas Islam Negeri Raden Intan Lampung.

Warson munawwir, A. (1997). *Kamus al-munawwir*. pustaka progresif.